

مصادر

د. رمضان عبد التواب

جَلَدُونَ الدِّينَ السُّبُوطِي

عِلْمُ اللَّفَّةِ وَأَنْوَاعِهَا

في
كتابه

المعز حر

كتاب

«المزهر في علوم اللغة وأنواعها» أشهر كتب جلال الدين السيوطي اللغوية ، بل إنه أشهر كتب هذه اللغة في العربية ، جمع فيه مؤلفه حصاد القرون الطويلة التي سبقت في الدراسات اللغوية عند العرب ، واستوعب فيه كل ما وصلت إليه يده من مؤلفات السابقين ، في القضايا التي أثارها في كتابه ، بدءاً من حديثه عن أصل اللغة ونشأتها ، ومروراً بطرق تعلم العلم باللغة ، ومعرفة الفصح والمطرد والشاذ والتأخر ، والمقرب والمؤلّد ، وعصائص العربية في ظواهر الاشتقاق والحقيقة والمجاز ، والمشتراك والتضاد والتضادف ، والإبتاع والإبدال ، والقلب والنحت ، والمثنى والمكثى والمبني ، والملاحن والألغاز ، والأشياء والتلفّات... وانتهاء بالحديث عن آداب اللغوي ، ومعرفة ما ينتاب كتابة اللغة من التصحيف والتحريف ، وطبقات اللغويين وأسمائهم وكنائهم وألقابهم وأنسابهم ، وأغلاط الشعراء والرواة وأكاذيب الأعراب ، وما إلى ذلك .

ولقد بلغت مصادر السيوطي في هذا الكتاب مائتي مصدر ، يعود بعضها إلى القرن الثاني الهجري ، كالعين للخليل بن أحمد المرامدي ، وأحدثها إلى الفيروز آبادي الثوري (سنة ٨٦٧ هـ) قبل السيوطي بحوالي قرن من الزمان .

وقد أتى السيوطي على الكثير من محتويات بعض هذه الكتب ، فنقلها إلى مزهره ، فقد نقل أكثر ما في كتاب الإبدال لأن السكيت ، ثم قال : «هذا غلب ما أورده ابن السكيت ، ونظمت منه أحرف أخرى ، أخرتها إلى النوع السابع والثلاثين والذي يليه . وهاهنا من السكيت أضاف حصة مرفوعة في كتب اللغة . ومن أهم ما قاله الإبدال ابن السكيت والصادق نحو : السراط والصراط» .

ومعنى هذا النص أن السيوطي ، لم يكن ينقل ما في مصادرهِ ، نقلاً عشوائياً ، وإنما هو ينقل ما يقع عليه يده ويحيط به في علمه .

ومثل ذلك أيضًا نقله ما ذكره القيروز آبادي من أسماء العمل في كتابه : «توفيق الأسل لتصديق العمل» ، وقوله بعد أن انتهى منه : «قلت : ما استوفى أحد مثل هذا الاستيفاء ، ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ»^(٢٢) ، ثم استكمل هذه الألفاظ من أمالي القاضي ، وأمالي الزجاجي^(٢٣) .

ويشبه هذا أيضًا صنيعه مع كتاب «المتنى والمثنى» لابن السكيت ، فقد نقل منه عشر صفحات كاملة ، ثم قال : «هذا ما أورده ابن السكيت في هذا الباب ، وقد جمع فأوعى ، ومع ذلك فقد فاته ألفاظ»^(٢٤) . وقد استدرك السيوطي هذا القارئ من ديوان الأدب ، والغريب المصنف ، والجمهرة ، وغيرها .

وأحيانًا ينقل السيوطي فصولًا كاملة من مصادره ، كما فعل ذلك حين نقل الفصلين الرابع والخامس من كتاب «ملع الأدلة» لأبي البركات بن الأثيري (٨٣ - ٨٤) بالحرف الواحد^(٢٥) . وكما فعل في باب : «ذكر ما جاء في فمالة» ، إذ نقله كله من «الغريب المصنف» لأبي عبيد ، وقال في آخره : «هذا جميع ما في الغريب المصنف»^(٢٦) .

وفي بعض الأحيان يلخص السيوطي ما في مصادره تلخيصًا شديدًا ، كما فعل حين لخص كتاب : «مراتب النحويين» لأبي الطيب اللغوي ، في عشرين صفحة ، وقال في آخرها : «انتهى كلام أبي الطيب في كتاب مراتب النحويين ملخصًا»^(٢٧) . وهو لا يغفل الإشارة إلى ما لخصه من نصوص مصادره ، كما رأينا في العبارة السابقة ، وكتوله في موضع آخر مثلاً : «انتهى كلام ابن جني ملخصًا»^(٢٨) .

وقد نثر السيوطي كثيرًا من مسائل «الصاحبي» لابن فارس ، و«الخصائص» لابن جني ، في مزهره ، فقد نقل عن الأول ست صفحات كاملة في أحد المواضع ، ثم قال : «هذا كله كلام ابن فارس»^(٢٩) . كما أكثر من النقل عنه في افتتاحيات كثير من أبوابه^(٣٠) . وقد نص السيوطي على استفادته الكاملة من هذا الكتاب ، فقال مرة : «قلت : قد رأيت نسخة من هذا الكتاب مفروقة على المصنف ، وعليها خطه ، وقد نقلت غالب ما فيه في هذا الكتاب»^(٣١) . كما نقل

عن «الخصائص» كثيراً كذلك ؛ إذ نقل منه ست صفحات في أصل اللغة ، وقال في آخرها :
«هذا كله كلام ابن جني»^(١٢) . وهناك نقل آخر في سبع صفحات في موضوع : المهمل
والمستعمل ، قال بعده : «انتهى كلام ابن جني»^(١٣) . وفي باب : سقطات العلماء ، نقل عنه
اثنى عشرة صفحة ، وقال : «انتهى ما أورده ابن جني»^(١٤) .

ومن أمثلة النقل المطول عن المصادر ، نقله رسالة في حوالي ثلاثين صفحة^(١٥) ، من
ديوان رسائل الشريف أبي القاسم علي بن الحسين المصري ، في الألفاظ اللغوية ، ثم نقله المقامة
الثانية والثلاثين في الألفاظ من مقامات الحريري كاملة^(١٦) .

ومع تطويله النقل عن بعض المصادر على هذا النحو ، نراه لا يستخدم في بعض الأحيان
كل الكتب المتخصصة في الموضوع الذي يكتب فيه ، ففي موضوع «المشعر» مثلاً ، لم يستخدم
السيوطي كتاب «المدخل» لأبي عمر الزاهد (٣٤٥ هـ) ، ولا كتاب : «المسلسل» لأبي الطاهر
القيمي (٥٣٨ هـ) . وفي موضوع «الإتياع» لم يستخدم كتاب «الإتياع» لأبي الطيب اللغوي
(٣٥١ هـ) . وكذلك في موضوع «الإبدال» لم يقد من كتاب «الإبدال» لأبي الطيب اللغوي
شيئاً . وزاه كذلك في موضوع «الأمثال» لا يستخدم بعض الكتب المهمة ، مثل : «جمهرة
الأمثال» لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) و«مجمع الأمثال» للميداني (٥١٨ هـ) و«المستقصى»
للزحاحشي (٥٣٨ هـ) وغير ذلك .

* * *

وتنقسم مصادر السيوطي في مزهره ، إلى أنواع شتى من حيث التخصص ، على النحو
التالي :

- ١ - كتب في فقه اللغة ، كالأصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ، والخصائص لابن جني .
- ٢ - معاجم عربية مرتبة على الموضوعات ، مثل : الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن
سلام ، وفقه اللغة للثعالبي^(١٧) . أو مرتبة على المخارج ، مثل : العين للخليل بن أحمد ،

ومختصره لأبي بكر الزبيدي ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمعجم والمحيط الأعظم لابن سيدة ، واستدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي . أو مرتبة ترتيباً هجائياً أو على المياني ، مثل : الصحاح للجوهري ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ، والعياب للصاغاني ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وديوان الأدب للقاراني ، والمجلد لابن فارس .

٣- كتب لغوية متخصصة في موضوع واحد ، مثل : الإبدال لابن السكيت ، والأبام والليالي للفراء ، وما اطلق لفظه واختلف معناه للمبرد ، والمقصود والممدود لابن ولاد ، والأضداد لأبي بكر بن الأتباري ، والإتباع لابن فارس ، وشجر الدر لأبي الطيب اللغوي ، والمقصود والممدود لأبي علي القالي ، وما جاء على فعال للصاغاني ، والمثنى لأبي الطيب اللغوي ، والموازنة لحمزة بن الحسن الإصفهاني ، وخلق الإنسان للصاغاني ، والأجناس للأصمعي ، والمقصود والممدود لابن السكيت ، والفروق لأبي الطيب اللغوي ، والأصوات لابن السكيت ، والليل والنهار لأبي حاتم السجستاني .

٤- كتب في النحو الصرف ، مثل : الكتاب لسيويه ، وأصول النحو لابن السراج ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ، والتسهيل لابن مالك ، وبلغ الأدلة لأبي البركات بن الأتباري ، وشرح التسهيل لأبي حيان ، وسفر السعادة للسكاوي ، والإنصاف لأبي البركات ابن الأتباري ، وشرح فصول ابن معط لابن إياز ، والغرة في شرح اللمع لابن الدهان ، وشرح المقصل للسكاوي ، وشرح الشافية للجاربردي .

٥- كتب في لحن العامة ، مثل : إصلاح المتعلق لابن السكيت ، وتهذيب الخطيب التبريزي ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي والرجاجي ، والفصح ثعلب ، وشرحه لابن درستويه والمرزوقي وابن خالويه والبطليوسي ، وذيله للموفق البغدادي .

٦- كتب الأمالي ، مثل : أمالي ثعلب المعروفة بمجالس ثعلب ، والأمالي لأبي علي القالي ، وأمالي الرجاجي ، وأمالي ابن دريد ، وأمالي أبي عبيد .

٧ - كتب النوادر ، كالكتب التي ألفها كل من أبي زيد الأنصاري ، وأبي محمد البزدي ، وابن الأعرابي ، ويونس بن حبيب ، وأبي عمرو الشيباني ، والشجيري .

٨ - دواوين الأدب والمجاميع الشعرية ، مثل : بنية الدهر للشمالي ، والأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ، والكامل للمبرد ، وشرح المعلقات لأبي جعفر النحاس ، وريح الأبرار للزعشري ، ومقامات الحريري ، ونشوار المفاضة للتنوخي ، وشرح شعر هذيل للسكري ، والحمتي والمغفلين لابن الجوزي ، وجمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الحطاب ، وأيام العرب لأبي عبيدة ، وشروح المقامات للمطرزي والنحاس وسلامة الأنباري ، وشرح كامل المبرد لأبي إسحاق البطليوسي .

٩ - مجاميع أمثال العرب ، مثل : الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري ، وجامع الأمثال لأبي علي أحمد بن إسماعيل القمي .

١٠ - كتب في البلاغة والتقد القديم ، مثل : الإيضاح للقزويني ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني ، وسر الفصاحة لابن سنان ، والعمدة لابن رشي ، وعروس الأفراح ليهاء الدين السبكي ، والطريق إلى الفصاحة لابن الفيس .

١١ - كتب في الأصول والفقه ، مثل : شرح منهاج الأصول للإسنوي ، والمحصل لفخر الدين الرازي ، والوصول إلى الأصول لأبي الفتح بن برهان ، وشرح منهاج اليباضوي لتاج الدين السبكي ، وشرح المحصول للقرافي ، والمخلص في أصول الفقه للقاضي عبد الوهاب السبكي ، والروضة للإمام النووي .

١٢ - كتب في التفسير ، مثل : تفسير الطبري ، والبحر المحيط للزركشي ، والتفسير لوكيع ، والتفسير لابن جزي .

١٣ - كتب في الحديث ، مثل صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والمستدرک للحاكم ، وشعب الإيمان للبيهقي ، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والأدب المفرد

للبخاري ، ومسنّد أحمد بن حنبل .

١٤ - كتب في التراجم والطبقات ، مثل : طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وأنصار التحوين البصريين للسرياني ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، ومراتب التحوين لأبي الطيب اللغوي ، وطبقات التحوين واللغويين للزبيدي ، ومن سمي عمرًا من الشعراء لابن الجراح ، والمؤتلف والمختلف للآمدي .

١٥ - كتب تاريخية ، مثل : تاريخ دمشق لابن عساكر ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ حلب للكمال بن العديم ، وتاريخ المسعودي (مروج الذهب) ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار .

* * *

هذه هي جمهرة المصادر التي رجع إليها جلال الدين السيوطي ، في تأليف موسوعته اللغوية : «الزهر في علوم اللغة وأنواعها» . وبعض هذه المصادر مفقود لا وجود له الآن ، مثل : الأجناس للأصمعي ، والأصوات لابن السكيت ، والليل والنهار لأبي حاتم السجستاني ، والفروق لأبي الطيب اللغوي ، وشرح الفصح لابن خالوية ، وأيام العرب لأبي عبيدة ، والنوادر لأبي عمرو الشيباني ، والنوادر لبونس بن حبيب .

وهذا الكتاب الأخير كان قليل الوجود في عصر ابن مکتوم (٧٤٩ هـ) ، إذ قال عنه السيوطي في الزهر : «وفي النوادر لبونس ، رواية محمد بن سلام الجمحي عنه - وهذا الكتاب لم أفت عليه ، إلا أنني وقفت على متقى منه ، بخط الشيخ تاج الدين بن مکتوم النحوي ، وقال عنه : إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود» (١٨) .

وبعض مصادر السيوطي في مزهره ، لا يزال مخطوطاً ينتظر من يحققه وينشره ، وينغص غبار الزمن عنه ، مستعيناً على تحقيقه بالتصوص التي اقتبسها السيوطي منه ، مثل الموازنة لحمزة ابن الحسن الاسفهاني ، وشرح المفصل للسخاوي ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار . ومن

المصادر المخطوطة ما هو تحت الطبع ، بعد أن اشتغل بتحقيقها بعض المعاصرين ، مثل : العين للخليل بن أحمد ، والمقصود والمدود للقلالي ، والغريب المصنف لأبي عبيد ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ، وسفر السعادة للسخاوي ، والأمانى لابن دريد ، والنوادر لابن الأعرابي .

ومن المصادر ما رآه السيوطي ، ثم افقده في أثناء تأليفه للمزهر ، كهذا الكتاب الذي ذكره في النوع السابع والثلاثين ، في معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيح ، فقال : «وقد رأيت من عدة سنين في هذا النوع مؤلفاً في مجلد ، لم يكتب عليه اسم مؤلفه ، ولا هو عندي الآن حال تأليف هذا الكتاب . ورأيت لصاحب القاموس تأليفاً سماه : تحبير الموشين فيها يقال بالسین والشين ، ولم يحضر عندي الآن ... فأعملت فكري في استخراج أمثلة ذلك من كتب اللغة^(١٩)» .

وكتاب : «فيا فقه العرب» لابن فارس ، الذي نشره حسين علي محفوظ بدمشق سنة ١٩٥٨ م ، كان عند السيوطي كذلك ، ثم افقده عند تأليف المزهر ، فقال : «وقد ألف ابن فارس تأليفاً لطيفاً في كراسة ، سماه بهذا الاسم (فيا فقه العرب) رأيت قديماً ، وليس هو الآن عندي ... فنذكر ما وقع من ذلك في مقامات الحريري ، ثم إن ظفرت بكتاب ابن فارس ، ألحقت ما فيه^(٢٠)» . ويبدو أن السيوطي لم يظفر بهذا الكتاب مرة أخرى ، حتى مات رحمه الله .

ومثل ذلك يتحدث السيوطي عن كتاب : «ليس في كلام العرب» لابن خالويه ، فيقول في باب : معرفة الأشباه والنظائر^(٢١) : «هذا نوع مهم ينبغي الاعتناء به ، فيه تعرف نوادر اللغة وشواردها ، ولا يقوم به إلا مضطلع بالفن واسع الاطلاع ، كثير النظر والمراجعة . وقد ألف ابن خالويه كتاباً حافلاً ، في ثلاثة مجلدات ضخمة ، سماه : كتاب ليس ، موضوعه : ليس في اللغة كذا إلا كذا . وقد طالعت قديماً ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الآن . وأنا أذكر إن شاء الله في هذا النوع ، ما يقضي الناظر فيه العجب ، وآت فيه ببدايع وغرائب ، إذا وقف عليها الحافظ المطلع ، يقول : هذا منهي الأرب» .

وهذا أحد المواضع التي يظهر فيها أسلوب السيوطي ، في التقديم لأبواب الزهر المختلفة . أما الفوائد التي انتقاها من كتاب «ليس» لابن خالويه قديماً ، فظهر متشورة هنا وهناك في الزهر ، ومنها في أحد المواضع اثنا عشرة صفحة ، قال في آخرها : «هذا آخر المستقى من كتاب ليس لابن خالويه»^(٢٢٦) .

وبعض مصادر الزهر كانت عند السيوطي بخطوط مؤلفيها ، فقد ذكر أنه رأى تاريخ حلب للكامل بن العديم بخطه^(٢٢٧) ، كما كانت عنده تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم القيسي بخطه^(٢٢٨) ، وكانت عنده ثلاثة كتب للنجيري كلها بخطه ، وهي : التعليق^(٢٢٩) ، والفوائد^(٢٣٠) ، والتوادر^(٢٣١) ، كما نقل «من خط الشيخ بدر الدين الزركشي في كراسة له سماها : عمل من طب لمن حب»^(٢٣٢) .

وتبلغ نسبة النصوص المنقولة عن كتب مفقودة ، في الزهر حوالي ٤٠ ٪ من حجم الكتاب . ومن هنا تبدو قيمة كتاب الزهر للسيوطي ، الذي حفظ لنا نصوصاً كثيرة ، ضاعت أصولها ولم تصل إلينا . وهو في مثل هذه النصوص يعدّ مصدراً أصيلاً في البحث العلمي . وتختلف معاملة السيوطي لمصادره من مؤلف إلى مؤلف ، فهو أحياناً ينقل نقلاً حرفياً ما أمامه من نصوص في مصادره ، مثلاً ذكرناه من قبل ، من نقله الفصلين الرابع والخامس من كتاب : «ملع الأدلة» لابن الأنباري ، بالحرف الواحد .

وأحياناً يتصرف ، ويقدم ويؤخر ، ويعدل ويختصر ، كما فعل في باب «الأضداد»^(٢٣٣) الذي نقله من كتاب : «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام ، فإننا إذا طالعنا هذا الكتاب الأخير ، رأينا أبا عبيد يروي في باب الأضداد منه عن أبي زيد ، ثم عن البيهقي ، ثم عن أبي زيد مرة ثانية ، ثم عن الأصمعي ، ثم عن أبي عبيدة ، ثم عن الكسائي ، ثم عن أبي زيد مرة ثالثة ، ثم عن الكسائي مرة ثانية ، ثم عن الأموي ، ثم عن الأصمعي مرة ثانية ، ثم عن عبيدة مرة ثانية ، ثم عن أبي عمرو ، ثم عن أبي عبيدة مرة ثالثة ، ثم عن الأحمر ، ثم عن الأصمعي مرة ثالثة ، ثم عن أبي عبيدة مرة رابعة ، ثم عن الأصمعي مرة رابعة ، ثم عن أبي

عيدة مرة خامسة ، ثم عن الكسائي مرة ثالثة . وهكذا ينتهي الباب .

أما السيوطي فإنه جمع آراء كل عالم بعضها إلى بعض ، فبدأ بأبي زيد ، فالأصمعي ، فأبي عبيدة ، فالكسائي ، فالأموي ، فأبي عمرو ، فالأحمر . أما أبو عبيد فإنه كان - فيما يبدو - يدون في غريبه المصنف ، ما سمعه من شيوخه ، حسبما كان يقع إليه هذا المسموع يوماً بعد يوم . هذا إلى أن السيوطي ، حذف كلام اليزيدي ، والشواهد الشعرية المختلفة ، التي يحتلُّ بها الغريب المصنف ، في هذا الباب .

• • •

وبعد... فإذا للسيوطي في كتابه : «المزهر» ؟ إن له أولاً فضلَ جمع الجزليات الصغيرة من هنا وهناك ، في الموضوع الذي يكتبه . وهو يعزو كل قول إلى صاحبه في أمانة علمية فائقة . وإذا كانت تلك عادته في كل نقوله هنا وهناك ، فإننا لا ندرى السر الذي جعله يجهل مصدره في تلك المواضع القليلة جداً في كتابه ، كقوله مثلاً : «وقال بعضهم^(٣٠)» ، أو : «وفي بعض النجمايع^(٣١)» أو : «قال أهل الأصول^(٣٢)» ، أو : «قال المعري في بعض كبه^(٣٣)» ، أو : «قال صاحب زاد المسافر^(٣٤)» ، أو : «رأيت لهذه الأبيات شرحاً في كرامة^(٣٥)» .

ولم يحل كتاب : «المزهر» بالإضافة إلى هذا الجمع الدءوب ، والترتيب المعجب الرائق ، من خطرات هنا وهناك للمؤلف تعزى إليه وحده ، وهي في بعض الأحيان رأي له ، واجتهاد وصل إليه بثاقب فكره ، وطول خبرته باللغة .

فهو يدخل أحياناً بحمل اعتراضية ، تفسر فيها ، أو تشرح غامضاً ، أو تضيف جديداً ، كقوله مثلاً : «وقال ابن جني في الخصائص - وكان هو وشيخه أبو علي الفارسي معتزليين^(٣٦)» ، وتوضيحه اسم إسماعيل بن القاسم البغدادي ، بأنه «هو أبو علي القالي»^(٣٧) ، وتعليقه على تعليم آدم للملائكة أسماء الأشياء ، بأن «في هذا فضيلة عظيمة ،

ومسقة شريفة نعم ^(٢٨) . ووصفه الرعب الإصعقاني بأنه « من أئمة ائمة
والبلاغة » ^(٢٩) ، وتصيغه على قلوب السرياني إن الخليل بن أحمد عمل أول كتاب لعين . بأن
« هذه الصادرة من السري في صراحة في أن الخليل لم يكلل كتاب لعين . وهو الصاهر ما سيأتي من
نقل كلام الدس في نصه فيه . بل أكثر الدس أنكروا كونه من تصنيف الخليل » ^(٣٠) ،
وليس كل تعليقات لسيرطي على هذا النحو من الاختصار . وهذه تعليقة طويلة . يعرفها
فيها بقرائه للكتاب . « استدراك العظم الواقع في كتاب العين للرئيسي » . ويذكر لنا محتواه .
فيقول « قلت وقد طالعته في آخره . فريت وجه التحطئة في خطي » . عليه من جهة
التصريف ولاشتقاق . كذكر حرف مرید في مادة أصبة . « مادة ثلاثية في مادة رابعة ونحو
ذلك » . ونعصه ادعى فيه التصحيح . « ما أنه يحط في لفظة من حيث اللفظة » . بأن يقال هذه
اللفظة كذب . أو لا تعرف . « هذا الله » . وجبته لا قدح في كتاب العين . لأن الأول لا يذكر
فيه راجع إلى التزيين ولوضع في التأليف . وهذا أمر حسن . لأن حاصله أن يقال « الأولى
من هذه اللفظة من هذا الدس » . ويردّها في هذا الباب . وهذا أمر سهل . وإن كان مقام
الخبير برّه عن تركاب مثل ذلك . « لأنه لا يسمع لوثوق بالكتاب والاعتماد عليه في نقل
اللفظة » . والثاني « بسمه ما ادعى من التصحيح » . يقال فيه ما قالته الأئمة . ومن دأبي سم
من التصحيح ؟ مع أنه قليل جدًا » ^(٣١) .

ولا نحو تعيقات سيوسي من الرد على ما يدعيه من آراء علماء . وتمييزها بالحق
والبرهان . مثلاً ردّ على من جري قدحه في جمهرة اللفظة لاس دريد . فقال « قلت
مقصوده الفساد من حيث نسبة التصريف . وذكره لؤدي في غير محله » . وهذا قال « أغبر
واصفه فيه لعمدة عن معرفة هذا الأمر » . يعني أن من دريد قصير لدع في تصريف . وإن
كان طويل نابع في اللفظة وكان من جري في تصريف . « ما لا يشع عباره » . فلذا قال
ذلك » ^(٣٢) .

وكما رد على لأهري قدحه في من دريد . ورمه بالفتن العربية وتوليد الأعداء . وأنه
سأل عنه عطوبه . « ما بعد له ولم يوثقه في روايته » . فقال « قلت معاد الله هو بريء مني »

رعيه . ومن طالع الشهرة رعى نحرية في رويته . وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يعرف به ذلك . ولا يقل فيه طعن معقوبه . لأنه كانت بينها ماهرة عظيمة . وقد تقرر في علم الحديث أن كلام القرآن في معصيه لا يندح ^(١٢) .

وكذلك رد على اعترار رعي . حين ذكر أن أهل لغة أهلوا بحث عن أحوال بلغات وروايت حرج وتعديلاً . فقال : «وقول من يحوب حق عن هد . أن أهل اللغة والأخبار . يهملوا البحث عن أحوال لغات . ويحب حرج وتعديلاً . بل محضو ذلك وسوء . كما بسوا ذلك في روء الأخبار . ومن طالع الكتب المؤلفة في صفات شعوب ولغات وأخبارهم . وجد ذلك وقد ألف أبو الصب معوي كتب مرتب بحويين . بين فيه ذلك . ونيز أهل صدق . من أهل الكتب والصع ^(١٣) .

وحين قال أبو الصب في هذا الكتاب . عن أبي عبيد قدس من سلام . ولا تعلمه سمع من أبي زيد شيئاً . رد عليه السوسي فقال : «قلت قد صرح في عدة مواضع من الغريب المصنف . بسأعه ^(١٤) .

وتدو سعة علم السوسي . حين همل مصدره تفسير شيء ما . فعز عنه السوسي مصدر في كتاب آخر فذكره . كقول مثلاً : «وقول من ولاد في مقصور وممدود عشور . بصم لعين وشين . رعه مبيوبة أنه لا نعر في الكلام شيء على وريه . ويزيد كرتسره . قلت ذكر غاي في كتاب مقصور وممدود أن عشور عشور . قلت وهي معروفة ^(١٥) .

وهو كثير بنحريح خصوص مصدره . من أجل تولفها . فقد حرج من أحد موضع مجموع من الأخبار نبي عنها من كتاب الصحابي لأبي فارس . في مصاحف لأبي شه . ومسدرك لحدكم . ولأولن لأبي هلال العسكري وصيرونات لأبي طاهر السبي . والمصاحف لأبي بكر بن أبي دود . ومسد أحمد بن حنبل ^(١٦) وفي موضع آخر . حرج حكايه روه عن مصحف عسكري . في معجمه لأدبه لياقوت . وخمسي والمصنف لابن الجوزي ^(١٧) .

وهو في تعليقاته حريص كل الحرص على توثيق بقوله . يذكر خطوط العلماء الذين نقل عنهم ، كقوله مثلاً : «وحدث هذه الحكاية . مكتوبة بخط القاضي محمد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس . على ظهر نسخة من العتاب لنعماي . ونقنها من خطه تلميذه أبو حامد محمد بن نصيب الحلي . ونقنها من خطه^(١٩)» من إبه ليعلمنا في بعض هذه التعليقات . ملكيته لنسخة نجية من حمهرة اللغة مفروضة على العلماء . يقول : «قلت : ظهرت نسخة من الحمهرة بخط أبي النضر أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس الطرابلسي اللعوي . وقد قرأها على ابن حالويه . بروايته طا ع بن دريد . وكُتِبَ عليها حواشي من استدراك ابن حالويه على مواضع منها . ونه على بعض أوهام وتصحيحات^(٢٠)» . وهو في أحد المواضع يقابل سحتين من كتاب الحمهرة . يقول : «وقال ابن دريد في الحمهرة . ما ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللعر . وفي نسخة حتى صار كاللغة^(٢١)» .

ويبدو في بعض تعليقات السيوطي . استدراكه المكل لبعض المؤلفات السابقة . فقد استدرك على القاموس المحيط أشياء وقال : «قلت : ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للوادر والشوارد . فقد فاته أشياء ظهرت بها في أثناء مصالحي لكتب اللغة . حتى همت أن أجمعها في جزء مديلاً عليه^(٢٢)» . كما استدرك على كتاب «الإنشاع» لاس فارس . وقال : «وقد ألف ابن فارس تأييداً مستقلاً في الإنشاع . وقد رأيت مرتين على حروف المعجم . وفاته أكثر مما ذكره . وقد احتضرت تأليعه وردت عليه ما فاته . في تأليف لطيف سميت : الإنباع في الإنباع^(٢٣)» .

وهو أحياناً يذكر لأقرب المناصرة ما هو فيه . فعند أن ذكر عن «المصححي» لاس فارس . أن ابن حالويه قال : جمعت لأشد حسمائة من ونجبة مائتين . قال : «قلت : وصغير ذلك في فقه لغة النعالي . قد جمع حمرة من الحسن الإصهاني من أسماء لدواهي ما يريد على أرمائة . وذكر أن تكثير أسماء الدواهي من دواهي قال : ومن المحاش أن تفتق وتشت معنى واحداً بمئين من الألفاظ^(٢٤)» .

ونرى من بعض تعليقات السيوطي ، كيف أن علمه - رحمه الله - كان ينمو بكثرة الاطلاع على المصادر المختلفة بمرور الأيام ، فهذه فائدة استفادها من جمهرة اللغة ، كان قد سئل عنها فلم يعرفها ، يقول : «وهذه فائدة لطيفة ، لم أرها إلا في الجمهرة ، فكانت العرب تسمى : صفر الأول وصفر الثاني ، وريبع الأول وريبع الثاني ، وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، فلما جاء الإسلام وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسيء ، سماه النبي ﷺ شهر الله المحرم .. وبذلك عرفت النكته في قوله : شهر الله . ولم يرد مثل ذلك في بقية الأشهر ولا رمضان . وقد كنت سئلت من مدة عن النكته في ذلك ، ولم يحضرني فيها شيء » ، حتى وقفت على كلام ابن دريد هذا ^(٥٤) .

وهذه فائدة أخرى وجدتها السيوطي عند ثعلب ، بعد أن طال سؤاله عنها ، فقد قال بعد أن روى عن ثعلب في أماليه شرحاً للمثل : «لا يدري الحمي من الحمي» أي لا يعرف الكلام البين من الكلام غير البين : «قلت : رضي الله عن سيدي عمر بن الفارض ، ما كان أوسع علمه باللغة ! قال في قصيدته اليازية :

صار وصف الضر ذاتياً له عن عناء والكلام الحمي لي

ولما شرحت قصيدته هذه ما وجدت من يعرف منها إلا القليل . ولقد سألت خلقاً من الصوفية عن معنى قوله : والكلام الحمي لي ، فلم أجد من يعرف معناه ، حتى رأيت هذا الكلام في أمالي ثعلب ^(٥٥) .

ولم تخل بعض تعليقات السيوطي من الوهم . ومن ذلك اعتقاده أن كلمة : «السبت» تعني في أصل اللغة : «الدهر» ، فقال في موضوع العام الذي خصص : «ثم رأيت له مثلاً في غاية الحسن ، وهو لفظ : السبت ، فإنه في اللغة : الدهر ، ثم خصص في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع وهو فرد من أفراد الدهر ^(٥٦) » . والحقيقة أن «السبت» كلمة معربة عن العبرية שַׁבָּת Sabbat ومعناها : الراحة !

ولكن مثل هذا الوهم نادر ولا يقلل الية من قيمة الفوائد الجلية ، التي نثرها في صفحات كتابه الضخم ، كقوله مثلاً : «قائدة : حيث أطلق أبو عبيد في الغريب المصنف وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر مجاورتهم للقيط والقرس^(٤٨)» .

ويقف المرء حائرًا أمام هذا النص ، إذ كيف يمكن لليمن أن تكون بالجزيرة مجاورة لليونان ؟ ثم كيف ليكر أن تمتد بمناحيا في شالي الجزيرة العربية ، فتجاور في الشرق القرس في ايران ، كما تجاور في الغرب القبط في مصر . وصواب العبارة كما في المصادر : «ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنيبط والقرس^(٤٩)» . فانظر كيف حرفت كلمة : «القر» فصارت في نشرة الزهر : «اليمن» ، كما حرفت أعتبا : «النيبط» ، فصارت في هذه النشرة كذلك : «القيط» !

(ج) روى السيوطي النص التالي عن ابن درستويه ، فقال : «قال ابن درستويه في شرح الفصيح : قول العامة : نحوي لغوي ، على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة^(٥٠)» . وفي هامشه تعليقًا على عبارة : «نحوي لغوي» ، قال محققو الزهر : «لم تقف على ضبط هذه العبارة» !

وهذا الذي لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب في مصدره : تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : «فقول : نحوي يَنحَوِي ، على نحو : جهل يجهل^(٥١)» .

* * *

وبعد .. فقد بلغ السيوطي في تأليفه شأوا لا يدرك ، وجهداً تقصر دونه الخطى .. وكتابه : «الزهر في علوم اللغة وأنواعها» تاج على رهوس هذه المؤلفات ، وغرة في وجه هذه التصانيف ، يشهد له بطول الباع في الدراسات اللغوية العربية ، والصبر والجلد في القراءة والجمع . رحم الله السيوطي رحمة واسعة ..

• المواضع •

- (١) الزمر ١ / ٤٦٩ .
 (٢) الزمر ١ / ٤٠٩ .
 (٣) في الأصل : «الزجاج» وهو تحريف .
 (٤) الزمر ٢ / ١٨٢ .
 (٥) الزمر ١ / ١١٣ - ١١١ .
 (٦) الزمر ٢ / ١١٩ - ١٢٠ .
 (٧) الزمر ٢ / ٣٩٥ - ٤١٤ .
 (٨) الزمر ١ / ٣٥٩ .
 (٩) الزمر ١ / ٦٦ - ٧١ .
 (١٠) الزمر ١ / ٣٢١ - ٣٤٥ .
 (١١) الزمر ١ / ٤٠٣ .
 (١٢) الزمر ١ / ١٠ - ١٦ .
 (١٣) الزمر ١ / ٧٤٠ - ٧٤٧ .
 (١٤) الزمر ٢ / ٣٦٩ - ٣٨١ .
 (١٥) الزمر ١ / ٥٩١ - ٦٢١ .
 (١٦) الزمر ١ / ٦٢٢ - ٦٣٥ .
 (١٧) يلاحظ أن السيوطي لم يستخدم مصيغتها من مصاحم التوضيحات ، وهو «القصص» لاين ميده .
 (١٨) الزمر ٢ / ٢٨٩ .
 (١٩) الزمر ١ / ٥٣٧ .
 (٢٠) الزمر ١ / ٦٢٢ .
 (٢١) الزمر ٢ / ٣ .
 (٢٢) الزمر ٢ / ٧٨ - ٩٠ .
 (٢٣) الزمر ٢ / ٢٢٥ .
 (٢٤) انظر : الزمر ١ / ٢٧٥ : ١ / ٤٢١ .
 (٢٥) الزمر ١ / ٣٨٢ .
 (٢٦) الزمر ٢ / ٣٠٤ .
 (٢٧) الزمر ٢ / ٢٩١ .
 (٢٨) الزمر ٢ / ٣٦٦ .
 (٢٩) الزمر ١ / ٣٨٩ - ٣٩١ .
 (٣٠) الزمر ١ / ٩٤ : ١ / ٢٧٤ : ٢ / ٢٨٦ وفي التوضع الآخر ذكر السيوطي قصيدة توجد في القائمة السادسة والأربعين من

مقامات الحريري ، وهي القائمة التالية . ولا تدري السر في إغفاله مصدره هنا ؟

- (٣١) المزهر / ٢ / ٣٦٨ .
(٣٢) المزهر / ١ / ٣٦٨ ، ٣٨٧ / ١ ، ٤٠٥ / ١ .
(٣٣) المزهر / ٢ / ١٠٥ .
(٣٤) المزهر / ٢ / ٣٥١ .
(٣٥) المزهر / ١ / ٣٨٠ .
(٣٦) المزهر / ١ / ١٠ .
(٣٧) المزهر / ١ / ٨٣ .
(٣٨) المزهر / ١ / ٣٠ .
(٣٩) المزهر / ١ / ٢٠١ .
(٤٠) المزهر / ١ / ٧٦ .
(٤١) المزهر / ١ / ٨٦ .
(٤٢) المزهر / ١ / ٩٣ .
(٤٣) المزهر / ١ / ٩٣ - ٩٤ .
(٤٤) المزهر / ١ / ١٢٠ .
(٤٥) المزهر / ٢ / ٤١٢ .
(٤٦) المزهر / ١ / ١٦٩ .
(٤٧) المزهر / ٢ / ٣٤١ - ٣٤٣ .
(٤٨) المزهر / ٢ / ٣٥٤ .
(٤٩) المزهر / ١ / ٩٥ .
(٥٠) المزهر / ١ / ٩٥ .
(٥١) المزهر / ١ / ٢٧٩ وفي الجمهرة ٣ / ٤٩٩ : كاللغة .
(٥٢) المزهر / ١ / ١٠٣ .
(٥٣) المزهر / ١ / ٤١٤ ويحمل قوله (١ / ٤٢٠) : وفي كتاب إلحاح الإتيان لابن فارس « على السهو ! » .
(٥٤) المزهر / ١ / ٣٢٥ .
(٥٥) المزهر / ١ / ٣٠٠ - ٣٠١ .
(٥٦) المزهر / ١ / ٥٠١ .
(٥٧) المزهر / ١ / ٤٢٧ .
(٥٨) المزهر / ١ / ٢١٢ .
(٥٩) الاقتراح ١٩ وانظر الحروف للتقاربي ١٤٧ .
(٦٠) المزهر / ١ / ٢٢٥ .
(٦١) تصحيح الفصح / ١ / ١١٩ .